الخاتمــة

بعد هذه المعالجة لهذه الشخصية الفكرية الفريدة من نوعها في العالم الإسلامي والغربي فقد اتضح لنا أنه من أكبر فلاسفة الإسلام وأحد أعلام الطب والفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وغيرها من العلوم التي درسها الرازي بكل دقة واقتدار نتيجة ملاحظاته المستمرة وتدوينها بكل عناية وشغف من أجل المعرفة والوصول إلى الحقيقة العلمية حتى تكون نتائجة صائبة لذلك نجد الكثير من المؤرخين نظر إلى الرازي على أنه أبو الطب العربي فهو أعظم أطباء الإسلام والقرون الوسطى وطبيب الدولة العربية والإسلامية غير منازع.

والرازي يعد من أعظم الشخصيات التي أنجبتها الحضارة الإسلامية بلا استثناء لتميزه الغزير بالعلم وممارسته الطب العملي وما ابتدعه من تدوين للمشاهدات والتعليق عليها وهو عمل لم يسبقه إليه أحد، فقد جمع الرازي بين الخبرة وسعة الإطلاع، وكان من أبرز صفاته كطبيب معالج هو استقصاؤه أعراض المرض، ويرجع ذلك لمهارة الرازي في تحليل أعراض المرض وعلاماته ودلالاته واسلوبه في العلاج الفضل في اهتمام الأطباء من بعده بهذا المجال الواسع واقتفاء أثره فقد كان الرازي بالنسبة لهم نبراثاً وعوناً لكل من يدرس مهنة الطب ويعمل بها.

والرازي كان في الطب أبو قراطى ولم يمنعه ذلك من نقد صاحبيه عندما يرى موضعاً للنقد، وقد آلف كتاباً أسماه "الشكوك على جالينوس" وفيه يعتذر عن مناقضته لرجل له من الشهرة والباع فالجالينوس، وهو عدا هذا يقع منه موضع التلميذ من أستاذة ويعود فيذكر أن الفلسفة تأبى التسليم للأستاذ لأن ذلك فيه وقوف بالعلم، وذكر أن جالينوس نفسه نقد من يطلب من الأساتذة والرؤساء التسليم من تلامذتهم بغير حجة تقنع أو برهان يدفع.

من هنا نجد فكر فيلسوفنا الطبيب يتميز بالكلية والشمولية حيث نلاحظ أنه واجه بعقلة وفكره كل ما كان موجود في المجتمع فقد كان مفكراً فلسفياً ودينياً، وكان طبيباً مدافعاً عن الأطباء المسلمين فكان الرازي يرجع أثناء أبحاثه الطبية

والكيميائية إلى أراء السابقين عليه والاستفادة منها، والأخذ بما يناسبه مع التجديد والتطوير وكان ذلك سبباً في إعطاء العقل الأسبقية على النقل والترجمة والتي جعلته يؤمن بحرية الفكر والعقيدة لذلك نجد الرازي قد أطلع على الفلسفة في وقت مبكر وكان ميالاً للمعرفة العقلية ومشغولاً بها، وساعده على ذلك ذكائه فبرع في دراسة الفلسفة براعة السابقين، ولكن مع تميز شخصيته واستقلالها فهو يرى أن الفلسفة هي الطريق المؤدي إلى الحق والسبيل الوحيد لإصلاح الفرد والمجتمع بما تنير به العقول والنفوس.

والرازي لم يكن صاحب فلسفة بعيدة عن الواقع بل إن فلسفته متصله بالواقع الإنساني وتصلح من شأنه مع عمقها وإتزانها وتمجيد الرازي للفلسفة هو في الوقت نفسه للعقل، فهو موقف إسناد للتفكير الفلسفي الذي حاول المتزمتون إيقاف تياره ويذكر الرازي هنا أن الخلاص للنفس هو الطريق للفلسفة وسوف يهلك من لم يتبع هذا العلاج، فالفلسفة ممكنه لكل إنسان متى بذل جهداً من أجل تحصيلها، لأن الظروف التي عاشها الرازاي في عصره تحتم عليه هذا الدفاع حيث كان الفلاسفة موضع إتهام دائماً فيما يتصل بمطابقة أعمالهم لمعارفهم، لذلك نجد فلسفته تتسم بالوضوح والخير المباشر دون غموض أو تعقيد لأنه كان يشترك في فهم أفكاره العامة والخاصة، فتلك هي سمات الرواد والمصلحين الذين أثروا الفكر العربي.

ففلسفة الرازي تقيم توازناً بين المادة والروح بعد أن تخبط الإنسان في متاهات المذاهب المتطرفة وكان نتيجة ذلك فقده لإنسانيته.

بعد هذه المعالجة لشخصية الرازي يتبدى لنا عدة حقائق وملاحظات أهمها:

أولاً: أن الرازي يعد أول طبيب عربي الثقافة، قام بجمع المعلومات الطبية المتفرقة حتى زمانه وقام بتدوينها في كتبه ومؤلفاته وأبدع بذلك أكبر موسوعة طبية عربية شهدت بها أوربا حتى قورن متأخرة.

ثانياً: إهتمام الرازي بالإصلاح الديني والسياسي والثقافي لتخليص المجتمع الذي كان يعيش فيه من الشوائب التي لحقت به والتي كانت من ضمن الأسباب الرئيسية التي أدت إلى التفرقة بين الفلاسفة المسلمين.

ثالثاً: كان للفكر الفلسفي الإسلامي أثاره الواضحة على شخصية الرازي وفي نهضته العلمية حتى استطاع الغرب أن ينقل الكثير عن الفكر العربي الإسلامي سواء في مجال الطب أو الفلسفة والرياضيات والمنطق وغيرها من العلوم الأخرى.

فالفكر الفلسفي في جوهره له القدرة على إعطاء الإنسانية الكثير من العلوم والمعارف في أزمة الإنسان، والضمير العالمي يجد الآن الفكر الفلسفي طريقاً جديراً ليكون باسماً للإنسانية وعلاجاً لها.

رابعاً: أن الرازي كان له الفضل العظيم في ميدان الكيمياء حيث غدت كتبه في الكيمياء من أكمل النماذج العلمية، فهو أول عالم لا يجوز أن يوصف في حقه بأنه كيميائي حيث حاول تحرير الكيمياء القديمة من الغموض والشعوذة، وجعلها خاضعة للتجربة والاختيار، فليس كل ما هو موجود في الكتب صحيحاً، بل يجب إخضاعه للتجربة والملاحظة، فهو يعد من الأوائل الذين استحضروا حامض الكبريتيك وسماه بالزاج الأخضر وكذلك قام باستخراج الكحول باستقصاؤه من مواد نشوية وسكرية متخمرة.

خامساً: تأكيد الرازي على وجود الله وأن هناك خالقاً أبدع كل ما في العالم بطريقة منتظمة تدل على عناية الإلهية بالعالم وما فيه من كائنات، وأكد على أن العقل يستطيع أن يدلنا على معرفة الله تعالى الذي هو أعظم شيء في الوجود فمعرفة الله هي أعظم المعارف على الإطلاق.

سادساً: اهتمام الرازي بالعالم ونشأته من منظور عقلي محض دون أي فروض مسبقه له، وأن هناك خالقاً مبدعاً لهذا العالم، وكل ذلك منقاد بقدرته الإلهية العظيمة.

سابعاً: أن الرازي يمتاز بأنه أول الأطباء الذين لاحظوا أثر النواحي النفسية في العلاج والتطبيب، فهو يرى أن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس، لأن النفس هي التي لها الشأن الأول والسيطرة على الجسم وإخضاعه لها لذا يجب على الطبيب أن يكون طبيباً للجسم والروح معاً.

من هنا يمكن القول أن حياة فيلسوفنا العظيم تعد نموذجاً لحياة الموهوبين، فهو فيلسوف وطبيب وعالم طبيعي ذو عقلية تركيبية موسوعية لأنه لم يؤمن في حياته قط بالشعوذه والخرافات بل كان يؤمن بالعقل وإمكانياته المتعددة والتي نستطيع بها أن نصل إلى معرفة كل ما في الكون بأسره.

وبعد سنوات عديدة من الجهد والعناء في البحث العلمي للرازي والذي شهد به كل العالم سواء العربي أو الغربي قامت صحيفة المقتطف بتعيين يوم 30 يناير 1930 للاحتفال بالعيد الألفي للرازي في البيئات الطبية للأمة العربية.

فلقد لقي هذا الفيلسوف احترام المنصفين ووصفوه بأنه من خبرة العلماء ذو عقلية فذة عالم بكل شيء يدور حوله من متغيرات لسعة ثقافته وذاكرته النادرة.

فالرازي فيلسوف عظيم تشرف الفلسفة الإسلامية بأن تضعه بين كبار الفلاسفة والمفكرين لأنه يتصف بطبيعة فلسفية حرة تؤمن بسلطان العقل.

وعلى الأمة العربية والإسلامية بمفكريها وعلمائها أن تفخر بهذا المفكر الكبير الذي أضفى على الحياة الفلسفية والطبية والكيميائية وغيرها من العلوم صفة الموضوعية والثبات لاستخدام العقل فيها مع الالتزام بالناحية الدينية.